MERS
MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 16-11-95
Photo No. : 213

حوار واسع ولكن علام؟

قبل اغتيال اسحق رابين، كان يسود الاعتقاد بان دنوّ موعدي الانتخابات العامة في اسرائيل والانتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة سيؤدي الى تجميد الملفّين السوري واللبناني لاشهر عدة، وربما حتى بداية ١٩٩٧ بحسب ما ذهب اليه البعض. وفي احسن الاحوال، كان المتفائلون، وهم قلّة، يتوقعون اختراقاً اعلانياً فقط من نوع الاتفاق على جدول الاعمال او اعلان المبادئ قبيل الانتخابات مباشرة، على ألاّ يتمّ الدخول في التفاصيل التطبيقية الا في ما بعد.

اليوم، ثمة ايحاء بان الامور قد تتحرك، بعد تصريحات شمعون بيريز الاخيرة والاعلان عن تبادل رسائل بين الرئيسين مبارك والاسد بواسطة وزير الخارجية المصري عمرو موسى. لكن هذه الايحاءات لم تتغلب على الشك العميق الذي اخذ يسود، بعد اغتيال رابين، حول امكان تجنّب التجميد. على العكس، قد يكون الرأي القائل بالتجميد اصبح موضع اجماع، عربياً واسرائيلياً، في حين يقول اجماع آخر بحتمية الاستمرار، وربما الاسراع، في تنفيذ بنود اتفاق الحكم الذاتي، واهمها المتعلقة بالانسحاب الاسرائيلي من المدن والقرى الفلسطينية.

كيف يمكن تفسير هذا التفاوت في مفاعيل الحدث الواحد، كما تُصوّرها القراءة السائدة لمسيرة التسوية؟ هل يُرد ذلك الى سبب ميكانيكي – سوسيولوجي مفاده ان المجتمع الاسرائيلي عاجز عن هضم اتفاقيتي سلام في آن واحد؟ أم ان الخلافات الجوهرية في طبيعة الملفين السوري والفلسطيني، لاسيما لجهة ارتباط كل منهما بحسابات الربح والخسارة، هي التي تفرض مثل هذا التفاوت؟

للاجابة عن هذا السؤال، لا بد من التذكير ان اسرائيل حاولت منذ بدء المفاوضات في مدريد ان تراهن على التسابق السوري – الفلسطيني، وانها نجحت في ذلك. اذ ان اقدام منظمة التحرير الفلسطينية على المفاوضات السرية في اوسلو كان يهدف، في ما يهدف اليه، الى ركوب القطار قبل فوات الاوان، في وقت اوحت سوريا انها جاهزة لاحراز تقدم جوهري على مسارها. غير ان قبول اسرائيل بمنظمة التحرير شريكاً مفاوضاً لم يكن يُختزل بما يشبه فض عروض المناقصات، اي ان السبب الكامن وراءه لم يكن يتعلق فقط بالتوقيت. فالاهم من ذلك كان ولا زال حاجة اسرائيل الى الوصول الى صيغة تعايش مع حال الاستعصاء الفلسطيني، بعدما اصبحت جزءاً من سياستها الداخلية. وهذا بالطبع لا ينطبق على سوريا. فلا الجولان يشهد انتفاضة ولا الدول العربية البعيدة عن مسرح المواجهة راغبة في كبت رغبتها في الهرولة، انتظاراً لسوريا. اضف الى ذلك ان سكان المستوطنات الاسرائيلية في الجولان يشكّلون جزءاً من قاعدة حزب "العمل".

من جهتها، لا تخضع سوريا للضغوط نفسها التي واجهت وتواجه الفلسطينيين. ففي حين يضطر الفلسطينيون للاستماتة من اجل البقاء اولاً، ومن اجل استعادة الشبر وراء الشبر من ترابهم (السبيل الوحيد لتجنّب الزوال)، تستطيع سوريا العيش كما فعلت منذ ثمانية وعشرين عاماً، اي من دون الجولان، الحيوي من الناحية الاستراتيجية فحسب. اما حاجة الاقتصاد السوري الى الانفتاح على الاسواق العالمية، وهو ما يقدم على انه اغراء عصر السلام، ففي الامكان تأجيل تلبيتها.

من جهة، اذاً، ثمة طرف لا يدفعه شيء الى التنازل، ومن جهة اخرى طرف لا يحتاج الى المطالبة (باستثناء المطالبة بمبادئ السلام العادل والشامل). فعلى اي قاعدة يجري "الحوار الواسع" الذي دعا اليه بيريز؟

سمير قصير